

Universitäts- und Landesbibliothek Bonn

إرفان الـعام لـآداب الـيـوبيل

wa huwa maʿmūn mā intahā ilainā mimmā naʿama aš-šuarā wa
fāha bihi al-ḥuabā min at-tahānī li-niyāfat ... al-murān Yūsuf
ad-Dibs

Bustānī, Abdallāh al-

Bairūt, 1897

Abschnitt

urn:nbn:de:hbz:5:1-14379

الا ثق ان ربي عنك راضٍ رضى يبدو بالسنة العموم
 هذا وان اجل ختام اختتم به كلامي ايها السيد المفضل
 الجليل يزيد هذا العيد بهجة انما هو الدعاء لله تعالى باطالة بقاء
 الحضرة العالية الملوكانية التي غمرت طائفتنا المارونية وجميع الملل
 المستظلة بظلمها بوافر الانعام وجزيل الاحسان طالين منه تعالى ان
 يؤيد بالعز والنصر حضرة سلطان البرين وخابان البحرين السلطان
 ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان وان يصون رجاله
 الكرام ووزرائه الفخام . ويليق بجميعنا ان نصيح بصوت واحد
 جاهرين لباري البرية ان يعزز بالمجد الدولة العثمانية العلية
 ايها الخير الذي اثاره لمعت في الشرق مثل الشهب
 ربع قرن قمت فينا اسقفاً فضله ينهل مثل السحب
 سكرنا في عرسك الفضي من كأس صهباء الهنا لا العنب
 فابق للعرفان بدرًا نيرًا وابق ركنًا لصروح الادب
 واحي عيشًا ارخوه طيباً لترى بالمسعد عرس الذهب



يحلوا كلما تكررت فكان من الواجب اذا ان نكرر ذكرها تفصيلاً
لو لم تكن معروفة من الخاص والعام يعترف بها كل لسان لوضوحها
وضوح الشمس في رابعة النهار فالدليل عليها اصبح كالدليل عليه
وما احسن ما قال الشاعر

وليس يصح في الازهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل
وهكذا ان مآثر الطائفة الشهرة ايها السيد الجليل لا تحتاج
الى دليل فنلجأ اليها بوجيز الكلام . اولاً ان حضرة سيدنا
ومولانا السلطان الاعظم راضٍ عن مآثر المدينة بدليل الاوسمة
العالية المزدان بها صدرك وذلك برهان لا حاجة معه الى غيره
ثانياً ان ابانا البابا لاون الثالث عشر راضٍ عن مآثر الدينية بدليل
الرسالة العالية التي انفذها اليك نياقة الكردينال رمبلا وزير بلاط
قداسته وذلك برهان قاطع تعززه الشواهد العديدة الصادرة من
اكابر الرجال . ثالثاً ان اجماع الاعيان والعلماء والادباء والشعراء
والخطباء واعضاء الجمعيات الخيرية والادبية من جميع الطوائف
على اختلافها على تقريظ آثارك الوطنية والعلمية والادبية لدليل
قاطع على صحتها لا تحتاج الى برهان سواء فثنائي عليك بلسان
المصباح انما هو ثناء الرأي العام

الا عش ايها الحبر المفدى	رغيد العيش يخلو من هموم
فكم ابدت من اثر عظيم	وكم احييت فينا من رسوم
لسان الشعب يا مولاي اضحى	لسان الله خالقنا العظيم

عليه من كرمك واحسانك ديم الخير واليمن والبلغ به اكلاء العمر .
 اللهم ارمقه بعين الرضى وسدد اراءه واطل بقاءه . اللهم انصره على
 اعدائه وممكنه من رغبته السامية واهوائه العالية . اللهم امنحه
 اكشاف المنى وادمه بالرغد والهناء فانك اللهم السميع المجيب .
 واليك كل منيب
 آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمين

﴿ وقال جناب القانوني البارع عزتو جان افندي نقولا ﴾
 ﴿ نقاش صاحب جريدة المصباح وعضو محكمة ﴾
 ﴿ استئناف ولاية بيروت الجليلة ﴾

لقد وجدت مجال القول ذا سعة
 ايها السيد الكلي الوقار

يتبارى الخطباء في هذا اليوم السعيد ويتسابق الشعراء في
 تقريظ سيادتكم وبث مآثركم الغراء الكثيرة . واني لو اردت ان
 اتكلم بلسان نفسي لكنت اجد الوفاً من الاسباب التي تحملني
 على المجاهرة بفضلك عليّ ولكن ليس هنا مجال التكلم عن مناقبك
 الخاصة بل عن مآثرك العامة فاكتفي من جهة ما يتعلق بي ان
 اقول اني لم افقد والدي العزيز وانت حي فانك قمت نحوي مقامه
 من جميع الوجوه . - اما مآثرك العامة أيها السيد المفضل فان ذكرها

الخطيرة في جانب الدين والوطن ولا بدع ايضاً ان دفعوا له
 التماثيل واحتفلوا له بهذا اليوبيل القضي ونشروا له ما طوته
 صدورهم وانحنت عليه ضلوعهم من الاقرار بالمعروف والجميل
 وتقدير النعمة حق قدرها من الشكر والثناء على المنعم اقتداءً بالامم
 العظيمة التي ترفع شأن من ينبغ في رجالها العظام ويفوز بمحصل
 السبق بتخليد ذكركم عند الشعب اذ تقيم لهم التماثيل والصور
 تنويهاً بذكركم واشارة بمجدكم وفخرهم ونشراً لخدماتهم في
 سبيل الوطن وتنشيطاً لامثالهم وحمداً لهم على الاقتداء بمثلهم
 والنسبه بمثلهم في التفاني في الاعمال الخيرية قائلة بلسان حالها
 فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه في الكرام فلاح
 فيا اخواني ان حبراً مثل هذا لجدير ان يفاخر به وينافس
 ويعتز ويمجد فانه لهو بولس الثاني فأنيطوا به امالكم والقوا عليه
 احمالكم فانه يناضل عن ايمانكم وعن اوطانكم وهو دائماً من
 وراء اموركم بالمرصاد لا يألو جهداً ولا يذوق رقاداً ولا يرى
 بدءاً من الذود لجيوش الضلال عن حياض ايمانكم الشريف
 فاذهبوا الى يوسف هذا كما كان يذهب الى يوسف في مصر كل
 من عضه ناب الجوع واناخ به صرف الزمان من بني الانسان
 وسلموا اليه زمام اموركم وتربية اولادكم وتدبير شؤون ايتامكم
 كما صنع العلي بسميه يوسف البتول اذ اقامه اباً لابنه ورئيساً
 لمائلته الالهية وارفعوا اكف الضراعة الى الله قائلين . اللهم افض

بمجد برهانه وظيفه حجته مناكب الترهات ويفضح خفايا المشكلات
 مع فصاحة تسليب وبيان يفتن ويسحر فقام بذلك ربع قرن يناضل
 ويحامي عن هذه الطائفة ولم تقل حد عزمه كلاله ولم تستهوا رتياحه
 الى ذلك ملاله بل بينا هو يرد بيد هجمات العدو ويحليه ويدحره
 كان باخري يشيد القلاع الحصينة ويسد عورات الثغور في وجه كل
 عدو فانه اقام كنائس راسخة باذخة امثال الجبال يدعو منظرها
 الى استحضار عظمة الخالق وجماله الرائع وبنى مدارس كلية للذكور
 والانات ترضع الطلاب البان المبادي القويمه الصحيحة الحقيقية
 وتشرب قلوبهم حب الله والوطن والدولة وتجهز للدين والبشرية
 في كل عام قوادا ابطالا يقاتلون في سبيلهما قتالا يحبون معه
 الحمام وانهم ليستظفرون على الشر واعوانه ويقدررون على تهذيب
 الاخلاق وتثقيف الاطباع وتربية الاحداث ذلك فضلا عما لسيادته
 من المآثر الجليلة التي نعت منها ولا نعددها وعليه فلا يعلم وأيم الحق
 باي هو افضل أغيرته أم بحكمته أو بحبه للعمل أم بحبه لطائفه
 أو بفصاحته أم بكتابته الصحيحة كما لا يدري في اي العلوم هو
 انبع افي الفلسفة أم في اللاهوت أو في التاريخ أم في الفصاحة والخطابة
 اجل لقد جمع في شخص واحد صفات سامية قلما يضمها بمجملتها
 كثيرون من اعظم الرجال مع كون كل واحدة منها كافية لجمل
 المتصف بها رجلاً عظيماً يرجع اليه في كل الامور فلا بدع اذا
 ان اجتمعت القلوب على حبه ورددت اللسان صدى ذكر اعماله

ولا عجب فانه قد اولدها على قمم جبال لبنان وانبثها وغرسها مثل
الارز فتأصلت عروقها مثله وسمقت فروعها الى السماء وتهدلت
اغصانها الى كل الانحاء ولم تسلم مثله من صدمات الزوابع والزلازل
وهجمات الاضطهاد وانقضاض صواعق الظلم فثبتت مع ذلك
مثله غير مترعزة الدعائم وثبوتها في هذه المواقف المجحفة شاهد
عدل لما اتصلت اليه شجاعتها المبنية على صخرة الدين والفضيلة
ومن ثم كان ولم يزل لارباب الدين فيها الباع الطولى والتأييد العظيم
في ارتفاعها وانحطاطها . ولما كان لكل عصر مزية في رجاله تصرم
عصر السيف وقام عصر القلم برجاله يرهفون اقلامهم ويبعثون
من السطور جحافلًا وكتائب ويشدون على مذاهب الكفر والتعطيل
حتى يمزقوها كل ممزق ولما استأنف الكفر والتعطيل الكرة والحملة
على الدين واربابه خشي على هذه الطائفة المعززة الدعائم من
اعاصير الكفر ورياح التعطيل الهوج التي تدك في هذه الايام
الصروح الشامخة في اوربا وتدك صروحه المردة ان تتصل الى
لبناننا وتحطم والماذ بالله ارضه وتهدم قلاع المحصنة فاقامت يد
العناية الالهية هذا الخبر الجليل في هذا الموقف الحرج مرابطاً على
ثغورها مناهضاً للعدو المريد فيها ايقاعاً وبطشاً بما تأهب له من
القطرة الصحيحة ونشأ عليه من حسن التربية المسيحية وتجميل به من
الصفات الحميدة والاخلاق الكريمة وغيرها مما يدل على تفرد وعدم
النظير كيف لا وله لسان كسيف ذي حدين ماضي الشفرتين يفري

الى كنيسة كي تحفظه وتوزعه على عباده بواسطة اولادها العاملين
 هذا والحمد لله الذي جعل اوليائه واصفيائه في كنيسة
 نجوم سما كلاً غاب كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوى اليه كواكبه
 فانه سبحانه تعالى قد جعل في كل عصر منهم رجالاً عظاماً
 يشرقون في تلك الكنيسة مثل الكواكب الثواقب فيهدون السراة
 التائهين في مجاهل هذا العالم الى الخلاص ويرشدون المبحرين فيه
 الى ميناء الامان واخص بالذكر سيادة حبرنا المفضل وشيخنا الجليل
 وملاذنا المنيع صاحب الصدر الواسع والفضل الشاسع والحلم الراجح
 والعلم الراسخ جامع اشتات العلم والفضيلة سيدنا ومولانا المطران
 يوسف الدبس ايده الله واطال بقاءه

فانه قد عشق العلم والفضيلة منذ نعومة اظفاره فمشقه ايضاً
 وباحا له بمكنون صدورهما وفتح له ابواب خزانتهما حتى استفد ما
 فيهما وضمه الى صدره الرقيب فاصبحت نفسه كمرآة صافية الزجاج
 جمعة اشعة النور والفضيلة المنبعثة من شمس الحق والحياة وعكستها
 على صدور ابنا الوطن العزيز فاستنار الجميع . واني اقول ولا ارى
 علي جناحاً ولا بأساً ولا اخاف من لائم بؤساً ان مولانا المشار
 اليه قد اعاد الى لبناننا مجده الاول

وهذا ايها الاحباء تاريخ طائفتنا المارونية العزيرة ينادي على
 رؤوس الاشهاد شاهداً ان لا طائفة ولا امة استمكن منها دينها
 الحق وتأصل فيها واستحصنت به عرى قواها مثل هذه الطائفة

من يخلف اولئك الرسل الابطال الذين يكونون قد بذلوا نفوسهم
في سبيل نشر الدين وبايديهم سعف النخل شهادة على حفظهم
للايمان ومقاساتهم العذاب الاليم وشربهم بتلك الكاس المرة حباً
بمخلصهم الالهي

ولقد رأيت بعيني زمرة من اولئك الرسل الابطال وهم على
اهبة السفر الى نواحي الصين الشرقية فشعرت حيثذ بقوة الدين
الفائقة الطبيعة واستطالته على الاميال الطبيعية كأنه ما كانت
قفهمت كيف انه بينما كان جمهور المودعين يذرفون الدموع السخينة
لدى فراقهم شفقة على زهرة الشيبة التي عما قليل تخترقها يد
المنون تشقياً للهمجية والعصية العمياء كان اولئك الابطال يتجلدون
ويتجملون ويخرجون الى الموت الاحمر باسمي الثفور منشرحي
الصدور حتى رجع الجميع وهم يصرخون فليحي هذا الدين الذي
ينبت مثل هذه الاغراس والاشجار ويعطي مثل هذه الاثمار .
نعم فليحي هذا الدين الذي هو منبع الشهامة الحقيقية وكبر النفس
وعلو الهمة ومضاء العزمة فليحي ذلك الدين الذي هو نور العالم
وملح الارض

نعم انه ايها الاحباء ذلك الكنز الثمين الذي لا تقدر قيمته
وهو تلك الجوهرة اليتيمة التي تستحق ان يبيع الانسان كل ما
هو له ويشتريها لان من وجدها وجد الحق والحياة . ذلك هو
الكنز الذي لا يفنى والخير الذي لا ينفذ الذي سلمه السيد المسيح

المرضى والجرحى ولكل ذي علة وجباً في هذا العمل الخطير تركن
 الوطن العزيز وقطن اواصر العائلة واتين من بلاد بعيدة حاملات
 بأيديهن المال وفي قلوبهن المحبة يأخذن اللقطاء الذين يطرحهم
 الوالدون خوفاً من العيلة او فراراً مما يستحق به ويعتدين هن
 بهم اعتناء الامهات الوالدات الخنونات بدلاً من امهاتهم اللواتي
 نبذن من قلوبهن عواطف المحبة والحنو . نعم هولاء الراهبات
 يجمعن الايتام ويربينهم بخوف الله وينشئهم على المبادئ الحقيقية
 ولا يبرحن في القيام على المرضى لا يمنعن ضعف ولا خوف
 ولا استئزاز

فهذا بعض احسان الدين المسيحي الى النوع الاول من
 الفقراء والمعتبين فضلاً عما يتفانى فيه مما يستلزمه النوع الثاني من
 الفقراء وهم اولئك الذين يحتاجون الى النور نور الايمان الحقيقي
 فلمثل هولاء ايضاً رحم الدين ورق واليهم نظر نظرة المفتوح
 العظيم فدعا اليه جنوده الاشداء و اشار اليهم ان يفزوا السير الى
 تلك الاصقاع البعيدة المتوحشة الى اناس غربي اللغة والعادات
 فابي دعوته فريق من الشبان الاثلي مالت بهامتهم خمرة حب الله
 وخير القريب . والتهبت قلوبهم بنار الغيرة فكانوا يقتحمون
 غمرات الموت الاحمر حباً بمجد الله وتوسيع نطاق ملكه
 العذب

وفي كل يوم يصل الى اقاصي اسيا وطراف افريقيا واسبانيا

فقيراً بين البهائم في منارة حقيرة ولم يفتأ كل حياته المقدسة
 ينادي بصوت جهير قائلاً . تعالوا الي ايها المتعوبون والثقيلو الاحمال
 وانا اريحكم . وهذا قضى ايامه الاخيره في اعمال الرحمة فتارة
 كان يشفي المرضى والمقعدين واخرى يفتح العميان وينطق الخرس
 الى غير ذلك وعلى اثاره مشت كنيسة المقدسة الحافظة روحه
 فانها منذ نشأتها قد جعلت الاعتناء بالفقراء والمساكين والاخذ
 بيدهم غايتها السامية ونما فيها هذا الروح مع نموها واول مستشفى
 وجد في العالم هو المستشفى الذي شادته امرأة رومانية مسيحية
 تدعى فايولا وذلك في الجيل الرابع للميلاد ومنذ ذلك الحين الى
 اليوم لم تزل الكنيسة اماً للمقطوعين والمحتاجين ومستشفى للمرضى
 ومستوصفاً ولشيوخ معاذاً ومعتصماً تربي اليتامى وتأوي الغرباء
 فاي شي . نأتى للدين المسيحي ان يصنعه من عجائب الرحمة مع
 الانسانية ولم يصنع

اجيلوا رائد الطرف في العالم كله تروا ما للدين المسيحي من
 الايادي البيضاء والاعمال الخيرية في جانب الانسانية فلا مصاب في
 الدنيا الا خصص له الدين جمعية خيرية تتكفل بازالتة ولا مدينة
 ولا مقاطعة ولا اكمة الا شيد فيها الدين محلاً لعمل الخير ونفع
 البشرية ولا حدث جوع او حرب او زلزال الا طار اصحاب
 الدين على اجنحة المحبة الاخوية ليأخذوا بناصر المنكوبين .
 واخص بالذكر راهبات المحبة اللاتي تصرف حياتهن على خدمة

الشعب الواحد منهم على الآخر والانسان على قريبه ويصول الصبي
على الشيخ والثلثم على الكريم وذلك لان على الرب الستهم
وافعالهم اغتصاباً بعيني جلاله (اشعيا ف ٤٣ ع ٨)

فقد اتضح مما مرّ الان من اثبات العقل والنقل ان الدين
المسيحي الحق مصدر العمارة البشرية ومبداء التمدن الانساني
وان الناس وجدوا في كل وقت احوج اليه من غيره وانهم لا
يتمتعون من ضروب الرغد واصناف اللذائذ الا متى استمسكوا
بعروته الوثقى وغنوا لامرته خاضعين وان كل فلسفة لا تأتلف مع
الدين بل تبانيه فلا مزية انها تكون اول مناقض للهية الانسانية
وذاهب بسعادتها ورغدها

ذلك ولا يندعنكم ايها الكرام ما للدين المسيحي من الاحسان
الى من جرّ عليهم الدهر واناخ بهم وعضهم الجوع بانيابه وتخونهم
الا وهم السواد الاعظم من الناس وبذلك تظهر مزية هذا
الدين الالهي على سائر الاديان . من المعلوم ان التقر على نوعين
فقر المال وفقر الروح اي الاحتياج الى معرفة الحقائق الدينية .
ففي الدين المسيحي الدواء الشافي لسكلا الدائين . اننا نرى اليونان
والرومانيين مع اشتهارهم بالصنائع والعلوم والسياسة لم يوجد عندهم
ما و يلجأ اليها من عجز تحصيل معاشه وجار عليهم الزمان وامسوا
لا عضد لهم ولا سند بينما ان السيد المسيح قد اراد ان يظهر محبته
نحو هذا الصنف من البشر فتشبه بهم منذ دخوله العالم اذ ولد

اركانه فتربع فيها الكفر وتمكن وخيم فوقها ظلام التعطيل اي
 نكران وجود الحق سبحانه . وذلك بان هبت من المغرب عاصفة
 شديدة اعني زوبعة الحرية المطلقة العنان وضربت من ذلك الشعب
 الذي كان قليل التمعن سريع العمل سهل الانتقاد جوآداً كريماً
 متطرفاً في مبادئه واعماله عباب قلبه فهيجت امواجه فتلاطمت
 فاثير كل ما كان راسباً فيه من الخلاعات والاميال والاهواء والمآرب
 السافلة وصدمت الدين والملك والمذبح والعرش صدمة هائلة
 اريح من جرائها العالم بأسره وسمع دويها في المسكونة كلها من
 اقصاها الى اقصاها . واريد بتلك المملكة المملكة العظمى افرنسة
 التي لم يمض عليها بضعة اشهر بعد سيادة المعطلة عليها حتى انبسط
 على ارجائها وانتشر في وهادها وانحائها ومدنها وقراها خراب
 عظيم لا يشبهه ولا يدانيه ما يمكنه ان يأتي به عسكر البرابرة من
 الخراب اذا اتيج له ان يخيم في قارة اوربا عشر سنوات تباعاً مفسداً
 سافك الدماء وكذا لا يشبه هذا العيث والفساد ايضاً ما تعيشه
 الاسد الضارية اذا انقلبت على قطعان الغنم وهي في صيرها حتى
 كادت هذه البلاد تلحق ببابل الشقية ولو جئت اصف لكم ذلك
 الخراب وامثله لكم تمثيلاً لحقت ان انبض فرائصكم خوفاً وارتباعاً
 ولا جناح ان استكت الاذان واصتكت الركب اذا تمثل لمساقلين
 فانه لا عظم ما يخيف ويحزن ولقد تم ما قيل على لسان اشعيا النبي
 . واجعل الصبيان رؤسائهم واهل الحقارة يتسلطون عليهم ويشب

اسبانيا كيف ان الهيئة الاجتماعية كانت ترتفع وتتقدم مع ارتفاع الدين وتقدمه وتنحط بانحطاطه وتحيا بحياته وتموت بموته غير اني اكتفي لضيق المقام بالاشارة الى شي يسير بين لكم كيف تحيا الهيئة الاجتماعية بوجود الدين واي منقلب تنقلب عند زواله

يذكر انه لما هزمت الدولة الرومانية ونخر عظامها سوس الرذائل والانشقاق انقض عليها البرابرة من جميع اطراف الارض نظير اسراب من النسورة القشاعم وتقاسموها بينهم ولحسن طالع البشرية وجد الدين المسيحي الى تلك القلوب الخالية سيلاً فتمكن منها وفعل فيها فعلاً عجباً فلين صلابتها وازال خشونتها وسقاها من مائه العذب فاينعت اثمارها وارضعها حليب الطهارة والمحبة ورباها في مهده كالأم الحنونة . ولكن والاسفاه لم تسلم من ادوار الزمان الراصدة لها في مكان الحياة فاصابها منها دور اسباها اتعاب تلك الأم وحنوها واحسانها

نعم اصابها دور كتب باحرف دموية فبقي ذكره وسيبقى محفوظاً في بطون التواريخ على مرّ الايام وياليت انه لم يبق الا ذكره فقط فانه كان رائد الخوف وقائد الذبح وسفك الدماء ومنذراً بالخراب والدمار قد برهن فيه الانسان عن عظم استطاعته على عمل الشر وايمان المنكر . وذلك الدور هو يوم تصرمت فيه جبال الدين المسيحي من احدى الممالك العظيمة وثلت عروشها وتقوضت

وحيث أمر بان يعطى الله ما لله أمر ايضاً هناك ان يعطى قيصر
 ما لقيصر وحذراً من ان يسيء المسلطون استعمال سلطتهم ويستبدوا
 ويعتدوا على الشعب جائرين انذرهم سبحانه وتعالى بانهم سيلقون
 العذاب اليماً اذا ساءوا السيرة وكانوا ظالمين وانهم سيقومون جميعاً
 يوم الحشر امام ديان واحد لا يأخذ بالوجوه ولا يحابي وانهم ابنا
 اب واحد وام واحدة ويذكرهم الموت العادل الحقيقي والمساوي
 بين البطل والصعلوك والملك والمملوك

وفوق كل ذلك فان الانجيل المقدس يقضي بجميع الفضائل
 التي من شأنها ان تربط اعضاء الهيئة الاجتماعية بعضها ببعض
 وينهى عن الرذائل التي من شأنها ان تنقض النظام وتشير الفتن
 والاضطراب . فانه يأمر بالعدل والنزاهة والتواضع والزهد في
 خيرات الارض ويأمر بحب القريب والاحسان الى الفقير واستئصال
 جرائم الكبرياء والحسد والبغض والاميال المنحرفة وغاية القول
 انه يأمر بقطع وابر كل رذيلة واحياء كل فضيلة وبناء عليه
 فان الدين المسيحي هو الذي اقام صروح التمدن في العالم ونشر
 عليه اشعة الظرف والانس والمعرفة والف القلوب مع بعضها وازال
 الشقاق وانشاء هذه الممالك العظيمة ورفع البشرية من دركات النذل
 والهوان الى درجات المجد والعلى

ويا ليت لي ان ابين لكم متبعا خطوات التاريخ جبلاً فجلاً
 كما صنع دونازو كورتاز ذلك الخطيب المصقع امام مجلس شورى

عن ضلال العقل حتى لطف الله بعباده فارسل كلمته اعني المسيح
متجسداً فجاء سبحانه بروح مستقيمة محيية ودين حق الهي
وحينما انتشر هذا الدين وانبثت هذه الروح اقتلعت تلك العادات
او تحسفت عند جميع الشعوب بحيث اصبح الناس اليوم غيرهم
في الامس . نعم لا ينطوي الانجيل على ما يشير خاصة الى ما
هو انفع في هيئات الاحكام ولا يضم مجلة شرائع تعلم الناس كيف
يسلكون انما يحتوي على ما هو اعظم واهم وانفع من كل ذلك
وينطبق على جميع الاحكام في جميع الازمان الا وهو تقديس المبادئ
التي عليها تدور رحي الهيئة الاجتماعية نفسها

ومن المعلوم ان ركني الهيئة الاجتماعية إنما هما توطيد السلطة
والزام الخضوع لها . وكما لها قائم بربط البعض الى البعض بعري
العدل والاستقامة . والحال فان السيد المسيح له المجد قد رفع
السلطة فوق الاهواء البشرية المتقلبة وجعلها صادرة رأساً منه تعالى
وقد ذكر ذلك في امكنة متعددة من الكتاب المقدس { ١١ } ولكي
يحمل الشعب على الخضوع النام باطناً وظاهراً جعل خضوعهم
أمرأ واجباً وفرضاً محتوماً مجرداً عن الخوف من القصاص

(١) العهد القديم : سفر الامثال ف ٨ ع ١٥ و ١٦ الحكمة ف ٦ ع ٣ و ٤

الجامعة ف ١٧ ع ١٤

العهد الجديد : يوحنا ف ١٩ ع ١١ رسالة بولس الى الرومانيين

ف ١٤١٣ - ٤

ويأخذون يتصارعون ويتجاولون تتقارع الابطال وتجاول
الاقران عاكفين على ذلك حتى تسيل دماؤهم وتتخضب اجسادهم
وتقطع اوصالهم وهكذا كانوا يتفانون في سبيل ارضاء الحاضرين
واعجابهم والذاذهم

وكذلك الحروب الهائلة التي كانت تسقي الارضين دماء
ذكية سفكت عدواناً وظلماً فانها لم تكن غالباً لتطفى نارها الا
بقطع دابر احد الفريقين المتحاربين او باسترقاقه وما ادراكم ما كان
الاسترقاق في ذلك الحين فالمستعبد كان له مطلق التصرف في من هو
يعبده فان شاء اماته وان شاء احياءه والشرعية كانت تبيح له ذلك
فكان العبد بمنزلة البهجة التي لا عقل لها ولا شان

هذا واني اذوي وجه الكلام عن فساد العوائد ورخاوة
الاخلاق في جميع الامم لذلك العهد حتى صارت الفضيلة اسماً
بلا مسمى وعن قساوة الشرائع ايضاً بالنظر الى خلافة الملوك فان
التاريخ يصور لنا قصور الملوك مذابح دائمة يضحي الاخ باخيه
عليها والاب بابنه في سبيل الفوز بالخلافة طبقاً لشرائع الامم التي
حفظها اكابر القوم . وأعرض ايضاً عن ذكر استبداد الاب بعياله
وتسلطه على رقاب اولاده وامراته فان الشرعية كانت تبيح له
الطلاق لاجل كل علة وتسمح له ان يسقي اولاده الصغار كاس
الموت الاحمر لدى الاقتضاء

فهذا ما وصلت اليه البشرية من جرى فساد القلب الناشئ

ودونكم بعض ما جلبته عبادة الاوثان على الهيئة الاجتماعية
 من العادات السيئة بل الاخرى ان اقول ما انزلته عليها من الصواعق
 المهلكة فانها قد حملت الناس على ان يضموا بالانسان اكراماً لتلك الاصنام
 الالهة الصامتة . نعم ان هذه لآفة كبرى وطامة جلي بل داهية
 دهياء عمت جميع البلدان وسادت عند جميع الشعوب مدة احيال
 عديدة والله اعلم كم اجرت من الدموع وكم شقت من القلوب
 وصدعت من الاكباد وحرمت العيال من سناها الوحيد . فمن
 ذلك ما كان جارياً في بلادنا الفينيقية . فانه مذكور في التاريخ ان
 اجدادنا الاقدمين كانوا يعبدون الهاً يدعى مولوخ اي اله الشمس
 وكان من النحاس له جسد انسان ورأس ثور جالساً على كرسي
 مكلاً بتاج ملكي وذراعه ممدودتان كانه اب مستمد ان يحتضن
 اطفاله . فكان الناس يجتمعون ايام عيده ويضرمون النار تحته
 حتى يحمر من شدة احماه وعندئذ يتناولون الاطفال عن اذرع
 امهاتهم ويطرحونهم على ذراعي ذلك الاله فيأخذون يتلملون
 وينقبضون على تينك اليدين الناريتين حتى تذوب لحانهم وتقبض
 ارواحهم الطاهرة وليس من راحم ولا من نصير بل كان الحضور
 يقومون حوالهم راقصين مرنمين على توقيع صوت الدف والمزمار
 تسبيحاً وتمجيذاً لمعبودهم الصامت

وما قولكم في تلك الالهاب البربرية التي كانت تصير في
 في رومية نفسها وذلك ان الوفاً من الشبان كانوا يجتمعون في الملاعب

تبر الطبيعة وتحييها بوقت واحد وبفعل واحد هكذا السيد له
المجد انار العالم بالحق لانه هو الحق كما اثبت لكم واحياه بالمحبة
لانه هو الحياة كما ابين لكم في القسم الثاني

٢

ان خالق الطبيعة المهندس الحكيم قد جعل بحكمته ارتباطا
عظيماً بين الرأس وبقية اعضاء الجسم بحيث لو تألم الرأس تألمت
معه جميع الاعضاء الجسدية واذا تهشم الرأس تهشم الجسد كله لانه
تعالى قد جعل الرأس مركز الحياة والاحساس ومبدأ الحركة وقد
مكن ذلك الارتباط واحكم عراه خصوصاً بين الرأس والقلب
حتى اذا تأثر الرأس من شيء كان لاثاره رنات في القلب اقوى منها
في بقية الاعضاء الجسدية وكذا اذا انفعل القلب كان لحركاته
وعواطفه صدى عظيم في الرأس وبعبارة اخرى ان الرأس يفعل
في القلب والقلب يفعل في الرأس . وبناء على حكم هذا التركيب
الطبيعي وارتباط بعضه ببعض احكم سبحانه وتعالى ارتباط قوى
النفس الداخلية فكان العقل من القوى النفسانية بمنزلة الرأس من
الجسم والارادة بمنزلة القلب فارتبطا ارتباطهما وحصلت بينهما
تلك المبادلة في تأثير الواحد بالآخر وعليه فلما مرض العقل كما
رأينا في القسم الاول نشأ في الارادة عن ذلك المرض العضال من
التسمم بفساد العادات السيئة والجنوح الى الشر ما ادى بالانسان
الى الموت الادي

لهم لا تتجاوزهم كان السيد المسيح يرسل رسله الى جميع قبائل
الارض من وشيين ويهود وبرابرة ورومان ويونان وعرب وعجم
وتتر على اختلاف طبقاتهم . واذ كان هو خالق الكل وقد صار
كلّاً لكلّ ليخلص الكل . ولقد جمعت تعاليمه القراء بين سمو
المبادي وسهولة الاسلوب كما جمع شخصه العجيب بين الطبيعة
الالهية والطبيعة البشرية فكان الهاً وانساناً معاً وعن هذا الجمع
في تعاليمه بين سمو الحقائق وبساطة الاسلوب نتج هذا الامر
الخطير وهو ان اعظم فيلسوف يجد في الدين المسيحي مجالاً
واسعاً لافكاره والولد الصغير يفهم تلك المبادئ السامية ويجب
عن اهم المسائل التي تختص بطبع الله وواجبات الانسان بكلام
اثبت وادق واحكم مما يجب به عنها اعظم فلاسفة العالم الوثني
والسكاهن الساذج يجعل بواسطة تعاليمه في اصغر القرى التي يقوم
برعاية اهلها حكماً حقيقيين اكثر مما كان افلاطون يجعل مثلهم كذلك
بواسطة خطبه الرنانة

ولهذا قال احد ساسة هذا العصر . ان النور المنبعث من
الدين المسيحي جعل الشعب الساذج نفسه يفهم اهم المسائل
ويشبهها اكثر من جميع مذاهب الفلاسفة . وهذا كله ايها الاحباء
انما هو بعض احسان السيد المسيح الى العالم فانه انار العقول بضياء
تعاليمه الحقيقية وكشف برقع الجهل وضمحل ظلام الضلال عن اعين
البشر وكان للعالم الادبي بمثابة الشمس للعالم المادي فكما ان الشمس

بكماله . اله غني يغني الذين يحبونه . اله جبار مهيب مخيف الذين
 يهينونه اله غيور لا يسمح بمجده لاحد ولا يقبل شريكاً له .
 فهذه الحقائق السماوية الممزوجة بخمرة المحبة والاخلاص قد
 اشرفت على عقول البشر اجمعين مثل الشمس ونزلت على قلوبهم
 مثل الندى فاخذت منها مأخذاً عظيماً وشربها الوضيع والرفيع
 والملك والمملوك والبطل والصعلوك . فاخذت الاصنام تتساقط
 امام اقدام الرسل كما تتساقط اوراق الشجر ايام الخريف امام الرياح
 العاصفة . سقطت سقطت بابل وارتفعت مدينة السلام خرّ الباطل
 صريعاً وثلث عروشه وتقوضت بروجه وعلى خرابها شيدت
 قصور الحق الذي يعلو ولا يعلو عليه دعائهما اعزّ واطول . قام
 الدين المسيحي على اربعة اعمدة كبرج على صخر ولم يبق لابواب
 الجحيم وقواتها استطاعة على مقاومته : وحدانية الخالق وغنايته وخلود
 السفر والحياة الاخرى كل ذلك قد رسخ في عقول البشر وقلوبهم
 ولم يبق من قوة او حيلة على اقتلاعه وتزاعه وهكذا انتشر هذا
 الدين الشريف الاصل والغاية في اربعة اقطار المسكونة ولا بدع
 فانه خالق بهذا يشرق شمس على الابرار والكفار يسكب غيثه
 على الاخيار والفجار اذ من المعلوم ان المعلول هو دليل على العلة
 كما ان الثمرة هي دليل على الشجرة

وعليه فكما كانت تعاليم سقراط وافلاطون واريستاطاليس
 وغيرهم على العدد القليل من اولئك المختارين الذين كانوا تلمذوا

نكصنا على اعقابنا لان الرب معنا . وهكذا كان فان هؤلاء الرسل
 الاثني عشر قد انتصروا بالايمان والصليب والمحبة وقهروا الملوك
 وافتتحوا الارض وازالوا رخاوة السوريين واستظروا على دهاء
 وقساوة الرومانيين وخشونة البراة وذلوا جميع الصعوبات وقهروا
 كل العقبات وبشروا بالايمان المسيحي ورفعوا راية الصليب فوق
 كل اكمة ونصبوها حيث لم يصل قبلهم مفتوح ولا جبار ممن جردوا
 العساكر الجرارة وخدمهم السعد والمال والشرف والزمان .
 وأتموا بالفعل ذلك الكلام الالهي . ارض زابلون ونفتالي الشعب
 الجالس في الظلمة وفي بقعة الموت ابصر نوراً عظيماً ،

وبماذا كانوا يبشرون العالم حتى تأتي لهم ان يغيروا وجه
 البسيطة ويجعلوا الناس كلهم يقلعون عما كانوا عليه من المعادات
 والمذاهب والمشارب وقد عجز عن ذلك في الاعصر الخوالي
 ملوك وحكماء شهد لهم التاريخ بالبأس والحكمة . فانهم كانوا
 يبشرون الشعوب بالاله الحقيقي الموجود في كل مكان ولكنه
 كان غير معروف عندهم نعم انهم يبشرون الشعوب بالاله القادر
 الجبار الذي رفعت يده السموات وبسطت الارض وهو الذي
 صنع الشمس والقمر وهو ضابط حركات النجوم والكواكب
 فهو اله حي عليم بسرائر القلوب وقلوب السرائر . اله شفيق
 رحوم يعتني بالناس كأب ببنيه . اله قدوس عادل ينفذ الرذيلة
 ويحب الفضيلة لا يترك زلة ولا ينسى حسنة . اله سرمد له الزمان

يعلم الجميع من مشرق الشمس الى مغربها انه ليس غيري الها
 قديراً انا الرب وايس آخر . اشعيا : ٤٥ (فخرج اولئك الرسل
 وهم حاملون بشارة الحق والسلام الى العالم باسره . خرجوا من
 علية صهيون كما تخرج الغيوم الممطرة من المغرب وتطير على اجنحة
 الرياح موزعة غيومها على الارضين طراً . خرجوا من سفح جبل
 صهيون مثل الينابيع الغزيرة فسقوا جميع السهول والصحارى
 والمروج والرياض التي كانت ريح السموم العاتية قد ايستها
 وذهبت بنضارتها فاخصبت وامرعت . نعم خرجوا والى اين : الى
 العالم باسره الى المسكونة من اقصاها الى اقصاها . مهلاً رويداً
 ايها السكارى فان امامكم حواجز طبيعية . امامكم الجبال الشامخة
 والاودية العميقة امامكم الابحر والانهر امامكم الامكنة المختلفة
 الاهوية بين حر وبرد ورطوبة ويبوسة . ثم ان امامكم حواجز
 ادبية لا تعد ولا تحصى امامكم الملوك القادرة والعساكر البرابرة
 امامكم الحسب والمال امامكم الاديان المختلفة والعادات الشتى
 القبيحة فيخشى والحالة هذه ان تخور قواكم عند اول خطوة
 ويستحوز عليكم الخوف واليأس . وهب انكم تمشون بكل ذلك
 وتذللون صعبه فهل اعدتكم السلاح والمؤن اللازمة . نعم ولكن
 اسلحتنا ليست السيوف الصقال والرماح الطوال بل هي الصليب
 الذي لا يغلب . خودة الايمان التي لا تحرق وعصا التاديب والمحبة
 الحقيقية فلو قاومتنا كل قوى الطبيعة والبشر معاً ما ضعفنا ولا

وقفه حزقيال النبي فوق تلك البقعة الممتلئة عظاماً سحيقة رميمة
وسائلوا امثلة العلي القادر على كل شي . هل تحيي هذه العظام الرميمة
فعسى ان يجيبكم مثلما اجاب النبي . نعم انها تحيي نعم اني سأنفخ فيها
نسمة الحياة وافيض عليها من روحي فتحيي

وهكذا صار اي لما رأت الحكمة الازلية ان الزمان الممد
من قبل انشاء العالم قد اتي ورأت أن اليوم كاد يسطو على
فرخ النسر الذي درج من عش ابيه قبل الاوان انفتحت السموات
وانحنت فوق الارض وعانقتها بفرح وولد المخلص المنتظر . وللحال
اشرق نجم عجيب فاضت ظلمات الجهل . ظهر الحق فزهق
الباطل تمجد الاله الحقيقي فخزيت تلك الآلهة الكاذبة المصنوعة
بايدي البشر اتي المهندس الحكيم فاستأصل العالم الوثني البالي وبني
على صخور الحق العالم الجديد

جاء المصاحح القدير فاعاد المياه الى مجاريها والقروع الى مباديها
جاء يسوع المخلص وبعد أن علم وعمل ثلاثاً وثلاثين سنة اختار له
اثني عشر رسولاً اميين فافاض عليهم من حكمته وانزل عليهم
روحه البارقليط شبه السنة نارية انارت عقولهم التي كانت سخيفة
وطهرت قلوبهم التي كانت فاسدة واضرمت فيهم نار الفيرة الآكلة
وقال لهم :

كل سلطان في السماء والارض قد اعطي لي . فها انذا
مرسلكم كما ارسلني الاب . اذهبوا وتلمذوا جميع الامم كي

ملوك وعظماء وفلاسفة واميون وكتبة وشعراء وحكام
وجاهل

حقاً لقد خربت الارض خراباً لعدم الافتكار في القلب فقفوا
ايها الاحبة في وسط ذلك الخراب الهائل وتأملوا تأملوا كيف
امسى النور ظلاماً مدلهماً اجيلوا رائد الطرف الى الجهات الاربع
واعتبروا في ذلك الانقلاب العظيم فقد ساد الباطل وذل الحق
اقدم الشر واحجم الخير تأله المخلوق وكفر بالله الخالق امتلأت
الارض والهياكل والبيوت آلهة وصار للشعالب اوجرة وللطيور
اوكار ومبدع الكون وخالق السماء والارض ليس له موضع يسند
اليه رأسه طرد رب الجنود الحي الصباوت وقام مقامه البصل والتوم
ومعادن الارض الجامدة . الفواحش والارجاس قامت في محل
الرب القدوس وكل شيء صار الهاً الاً الاله الحقيقي وحده .
تأملوا كيف سقط الملك فتشتت رعاياه وسبي شعبه الى بابل الخطية
قفوا يا بني البشر واعتبروا هل نظرتم خراباً مثل هذا الخراب
قفوا وقفة الشاعر في وسط اطلال الاحبة البالية وربوعهم الدارسة
متدهلاً ومتوجعاً . قفوا وقفة ارميا النبي وارثوا خراب اورشليم
واندبوا والدموع تلج في العيون اندبوا موت الحق ابكوا غور
النور في التراب قولوا بجهير الصوت متعجيين آسفين مرددين قول
إرميا . عجياً كيف اكدر الذهب واغبر النضار الخالص وانهاالت
حجارة القدس في رأس كل شارع . (ارميا ف ٤٤ عد ١) قفوا

لمحوه من خلال بطرهم واقدارهم وهناك كانت غاية ما ينتهي
اليه الشر والرجاسة من استفحال الامر

ان هضم كرامة الفضيلة لهو من اعظم دواعي الخراب في عالم
الدين والاداب واعظم من هذا واشد بلاء اكرام الرذيلة بل اشد
من كليهما قبحاً وافظع شراً وادعى الى النكاية والحزن ان يقام
تمثال الرذيلة فوق المذابح ويجعل الهأ معبوداً كما جرى في مدينة
ايننا التي كانت ام الذوق والفصاحة ومظهراً للتمدن فكان فيها
للخمر اله وللفسق اله اخر وللانتقام اله وللفجور اله آخر واني
لاستحي ان اذكر لكم ما كانت شعراء اليونان وكتبهم تقسبه مع
الافتخار الى آلهتهم الفاجرة من الفواحش والارجاس وكذلك
اغضي حياء من ذكر القبائح التي كانت ترتكب ضمن هياكل
جينون وادونيس وبرياب وفلور التي كان الاخرى بها أن تدعى
معامل للشر والرجاسة لا أن تدعى هياكل للالهة ارايتم ضلال العقل
البشري ما انتهى اليه من الشر الفظيع

اخيراً سيروا بنا الى رومية ام المدائن وعاصمة العالم الوثني
لذلك العهد ومدينة التمدن والسياسة وادخلوا بانيون هذه المدينة العظيمة
حيث ترون جميع آلهة العهد القديم منصوبة على شبه حلقة مفرغة
لا يدري اين طرفها يتمتع تعيين بعضهم فاضلاً وبعضهم افضل منه
حذراً من التحاسد وهي اصنام عديدة مختلفة الهيات والشكل
والصنعة وما تلك الاصنام الا آلهة قد عبدها في العهد القديم

على البشرية تلك النظرة من البلايا والمصائب والشدائد ثم سرح
 السكلدانيون انظارهم في الخيمة الزرقاء والجو صاف والكواكب
 الثواقب لامعة فراقهم منظرها وسطا على قلوبهم بها جمالها فحنوا
 تحتها الركاب وطأطأوا لها الرؤوس وقدموا لها عبادتهم . اتي بعدهم
 العجم والاشوريون والسوريون اجدادنا قافتوا آثارهم وزادوا
 عليهم واستدركوا ما فاتهم مما هو ادنى منهما واذل وادعى منهما
 الى الحياء والخجل فانهم عبدوا النار المحرقة والهوا ملوكهم العظام
 فضحوا لهم بالكباش والنعاج حتى باولادهم انفسهم

وماذا اقول عن المصريين الذين بلغوا من تقواهم اسمى
 درجات الكمال فاكثروا الالهة حتى ملئوا المنازل والهيكل والمقابر
 واتخذوا كل ما هو نافع للانسان او مضر له الها قادراً ان يخلق
 الارض والسما ويسيدهما بدقيقة واحدة فعبدوا العجل ابليس
 حتى البصل والتوم بحيث قال جفنال متهمكماً يالها من امة
 ازهرت فيها القداسة والتقوى حتى انبتت الهتها في البساتين
 والحقول

فهذا هو الانسان الذي انطفأ مصباح عقله وغطى دخان هذا
 العالم المادي على بصره فافتن ممعناً في الضلال والنوابة . غير انه
 لم يقف عند هذا الحد ولا لبث مغروراً مفتوناً بالعالم المادي بل
 سمعت به القدم الى عالم الشهوات الباطنية والاميال الداخلية فانفتح
 له باب كان مغلقاً دون الشرقيين الاول وانما فتحه اليونانيون اذ

الراهنه في وجود اله واحد فهبط العقل من ذلك العلو الشامخ
ساقطاً الى الحضيض الاسفل وما ادراكم ما كان وراء ذلك الهبوط
العظيم من الخراب الهائل والانقلاب الفظيع فحدثوا عنه ولا حرج
وهاكم خلاصة ما حفظته لنا من ذلك التواريخ والاثار القديمة مما
يقضي على القارىء اللبيب او السامع الواعي الاديب بالعجب
والاندهاش مع الحزن والكآبة

حانت من الكلدانيين في ابتداء امرهم التفاتة الى الشمس
فراوها تتلألاً ضياءً وتنبعث نوراً وتسطم شعاعاً فبهرت عيونهم
وغطت على ابصارهم واخذت منهم عجباً واندهاشاً فخرّوا لها
ساجدين وقالوا هذا بالوس الاله الحقيقي المحيي الطبيعة الموجد
النور المنبت العشب المنضج الثمر ثم لما غابت الشمس واقبل الليل
بخيله ورحله طام القمر لامعاً بضياءً فضي يفتن تصحبه الزهرة
بجمال يسلب يحاذيها المريح بلون عسجدي يخلب فاخذ هذا
المنظر الحسن بعيون الكلدانيين ايضاً فاخلصوا العبادة لتلك الكواكب
فاحرقوا لها البخور ورفعوا اليها توسلاتهم منزلين فيها الرجا . فلا
كان ذلك النهار ولا كان ذلك الليل ما اكفر الانسان . واذا
اعتبرتم هذا رايتم ان الشر كل الشر في النظر وانما الشر دخل من
باب العيون لان العيون مفاتيح القلوب واليها منها يسري الافتتان
بالمخلوقات

نظرت امنّا حوا الى الشجرة المحرّمة وقد علمتم ما جلبت

اذ ليس الخبر كالاختبار . هكذا نحن ايها الاحباء اذ قد رضعنا
حقائق الدين المسيحي مع الحليب وجرت تعاليمه مجرى الدم في
عروقنا ونشأنا عليه وربنا لا يمكننا ان نقدر هذه النعمة حق قدرها
لان ما تعودده الانسان صار له طبعاً وصغراً لديه ولم يشعر به . ولم
يكن في وسعنا ايضاً ان نتصور العالم الوثنى الى اية دركة وصل
من الجهل والغواية والخطيئة والذل قبل مجيئ المسيح رغماً عما
جادت به علينا تواريخ الامم الغابرة على اختلافها وقامت الآثار
حية من بطون الارض بعد الالوف من السنين تشهد على ثبوت
ضلال العقل وتسلط الحواس عليه وهاءنذا اصور لكم ذلك : تخيلوا
انكم على رابية في صحراء فسيحة الارعاء يناوحكم جبل شامخ
الذرى على قمته صخر عظيم فيينا هو راسخ في ذراه اذ اكتفتته
غيوم سوداء وعصفت به رياح زعازع وهطل السيل فحط ذلك
الصخر من فوق الى الحضيض فحطم وهدم كل ما كان في منحدره
غير مبق على شيء . بته فمكذا سقط العقل من قمة جبل الحق الى
وهاذ الضلال والغواية وكان سقوطه عظيماً . فقد كان العقل راسخاً
بأدى بدء في قمة جبل ذلك المبدأ السامي اي مبدأ وحدانية الخالق
لا يعبد الا الهاً واحداً مبدع الكون وحافظه ولكن ما لبث
ان تلبدت فوقه غيوم الجهل وعصفت به زعازع الشهوات وسحبت
عليه سحب الاخلاق المتخنة وفساد العادات وساورته الحواس
مساورة الاسود فتقطعت تلك الروابط المتينة اي تلك الحقائق

الصفات والمزايا تمثل بيننا على اشبه حال واكمل منوال السيد له
المجد وخصوصاً في هاتين الصفتين الجليلتين الحق والحب فقد
اصبحت مثله نوراً للوطن العزيز بتعاليمك المفيدة وتأليفك النافعة
العديدة التي هي كنائر تهتدي بها العقول الى ميناء الحق والامان
ومثله باشرت الاعمال المبرورة رحمة في الناس واتيت عن حب
ومزيد ارتياح كلما من شأنه أن يستدر خير القريب والكنيسة ومجد الله
وانفقت معظم حياتك في هذا السبيل القويم . فلا غرو ان اقامك
السيد قهرماناً وقيماً على بيته ومسلطاً على كل ما يقننيه ولا غرو
ايضاً ان سمت اليك نواظري قبل ان اخوض عباب هذه الحقائق
الخطيرة ملتصقاً بركتك ومتيمماً بتلبية امرك وكلمتك فقد كان
بطرس تعب الليل كله ولم يصطد شيئاً فلما حضر السيد له المجد
وامره ان يلقي شبكته مضطرباً سمكاً كثيراً فهكذا انا اذا فسحت لي
في الكلام فاني اجني منه ثمرات المنى دانية القطوف واكون من
المفلحين فازرني ببركتك ودعائك وانا لاجل كلمتك التي
الشبكة

١

مما يشهد به الاختبار وتزكيه التجربة والاعتبار ان من قضى
معظم حياته ناعم البال متمتعاً بتمام الصحة ولم يذق ابداً علاقم
الآلام ومرائر الامراض لا يعرف ان يقدر الصحة حق قدرها
الا اذا فقدوها ولا يمكنه ان يتصور الم جرح المصيبة الا اذا قاساه

القريب لسهام املهم وهو المؤلف العظيم بين السماء والارض
 والمنقذ البشرية من ظلام الجهل والمنير العقول بضياء الحق والطيب
 النطاسي للقلوب والمقوي ضعفها والمقوض اركان الجحيم هو كلمة
 الاب الازلي ومظهر الحكمة الغير المتناهية هو الذي قد كان
 منذ الازل وكل به قد كان ولقد ولد في ايام اغوستوس قيصر على
 حين ان ابواب هيكل جانوس كانت مغلقة هو ولا ازيدكم به
 علماً من تجثو له كل ركبة في السماء والارض هو يسوع الناصري
 مخلص العالم هو هو صاحب ذلك القول العظيم هو القائل : انا
 الحق والحياة ، ولربما تتسألون قائلين ما عساه يقصد ان يطرفنا من
 هذا الكلام المثير الفكر الموري العبر فاجيب اني تحريت لكلامي
 موضوعاً جليلاً خطيراً وغاية شريفة سامية اما الموضوع فهو بيان
 احسان السيد المسيح صاحب ذلك القول العظيم الى الانسانية جمعاء
 وكيف كان اولاً نور العالم وثانياً ملح الارض واما الغاية فان اضرمت
 في قلوبكم نار محبته تعالى لان من اعظم دواعي المحبة الاحسان
 ثم ان امكن من اذهانكم احترام الدين المسيحي الشريف الذي كان
 اساس العمران والتمدن الحقيقي وسبباً لكل خير في الدنيا
 والآخرة

واليك يا مولاي التفت التفات الامل الراجي ان تفسح لولدك
 العاجز في مجال القول الذي انت فؤاد مرامه ومرمي سهامه بل
 الداعي القوي الى اسدائه والحامه فانك بما انت عليه من جلائل

الغواية . لكنك قلت اني صاحب العلم الصحيح لا غيري وعندي الحق
 كله لا عند غيري بل اني انا الحق عينه . نعم تقدمني رجالا اما جد
 كتبوا والقوا وعلموا الناس حسن القيام بما هو واجب في الالهة
 والقريب مثل بكرك وسولون وشيشرون اولئك الذين احبوا
 الانسانية وبذلوا كل ما في وسعهم لترفي الالفة البشرية في معارج
 التقدم والتمدن والفلاح ولكن قد ذهبت اعمارهم ادراج الرياح
 وعجزوا عن تغيير ما كان للشعوب من العادات المستهجنة وضعفوا
 عن اصلاح حياتهم . اما انا فقد استطعت وحدي ان ازرع في
 جميع القلوب المحبة الحقيقية لتأتي بثمار كثيرة . وانا وحدي قدرت
 ان املك قياد القلوب بعواطفها واشواقها لحييها حياة طيبة جديدة
 لاني انا الحياة

ما هذا الكلام العظيم ايها الاحياء ومن هو القاتل . باطلا
 تطلبونه بين ملوك الكلدان والاشوريين والمصريين باطلا تبحثون
 عنه في مدارس الفلاسفة القدماء عبثا تنشدونه بين حكماء اليونان
 والرومان فليس هو هنالك نعم فان من اسمه الحق وفعله الخير والحياة
 لا تجدونه هنالك . لانه لم يوجد منذ خلق الانسان الى يومنا اي منذ
 آدم الى اخر مولود غير واحد يمكنه ان يقول ذلك ولن يوجد الى منتهى
 الاعصار غيره يستطيع ان يقول عن نفسه انا الحق والحياة مع التزاهة والترفع
 عن الكبرياء والاعجاب وذلك الشخص المنقطع النظير هو المنتظر عند
 الشعوب . والرجاء الوحيد لنفوسهم والمطمح الدائم لعيونهم والمرمى

﴿ وقال حضرة الاب الجليل الفاضل الخوري بطرس مبارك ﴾

﴿ وقد كان في عزمه ان يلقي ذلك في الكنيسة فحال دون ﴾

﴿ القائه ضيق المقام ﴾

﴿ انا هو الحق والحياة يوحنا ١٤ عد ٦ ﴾

ايها الاحبة

يا له من كلام يدل ظاهره على الادعاء والاعجاب بالنفس .
فلا غرو ان نبا عنه ذوقكم السليم بدأة بدء او مجته اسماعكم .
رويدك ايها القائل عن نفسه انا هو الحق والحق هو انا انا الحياة
والحياة هي انا ممن انت ومن تكون

بتاغورس الفيلسوف اليوناني الشهير قد استعظم على نفسه
لقب حكيم ولم يرض ان يدعو الناس الا مجباً للحكمة فقط
اما انت فلم تقبل ان تقول انا محب الحق وواقي الحياة بل انما
قلت اني انا الحق بعينه واني انا الحياة بنفسها ولم تخف ان تقول
على مسمع من العالم باسري ومرأى : اني وان تقدمني في الناس
حكماء كثيرون وفهما عديدون اطلعوا البشر على حقائق سامية
واناروا عقول ابنا جلدتهم بمصاييح مكتشفاتهم العقلية لآت بما
لم يستطيعوا اليه سبيلاً وبما لم يخطر على بالهم قط . نعم تقدمني
سقراط وافلاطون واريستاطاليس وغيرهم ولكن جميعهم قد
ضلوا عن جادة الحق والصواب في اكثر مذاهبهم وناهوا في بيدها

حتى حرصت على فضلاته ان تذهب سدى فانقطعت فيها للتأليف
تهدي الى الناس علماً ورشاداً او تجلب لنفسك عندهم فخراً وعند
الله أجراً فها قد احسن الزمان معرفة قدرك واشهد على نفسه في هذا
اليوم من في هذه المدينة الزهراء من ممثلي الدول العظيمة وممثل من
له رعية في كل مملكة وجمهور الفضلاء والعلماء والادباء انه معتبر
بانك بيضت وجهه وطيب ذكره وأجزلت فوائده ونشرت اسمه
وابعدت وصمة الخمول عنه اذ قيل

جهل الفتى عارٌ عليه لنفسه وخموله عارٌ على الأيام
وانه مقررٌ بأنك من أشح اهل به لتكون من اسخاهم على
بني الانسان بما تجني فيه من ثمار العلم وتدرس من جنات الفضل
فيا لله الزمان ما انصفه اذ كانا بما يصنع في هذا العيد يشبك ايها
الحبر الجليل على ما رفعت شأنه وميزته عن الوف من اقرانه
بان يجعلك جوهرة في تاجه وقدوة لابنائهم تعرفهم ان الزمان
اغلى من كل كنز وان انفاقه فيما يرضي الله وينفع الخلق هو الفخر
والخير وصرفه في نقض ذلك هو الهوان والشر - هذا وفي الختام
اسأل الله ان يعطيك من العمر على قدر معرفتك لقيمه ويجعل
يوبيلك ايقاظاً للهمم النائمة واعظم صارف لادبائنا عن قضا
الزمان فيما لا ينفع الى قضائه فيما ينفع وأن يرغب طلاب المدح
في صنيع ما ينطق به الناس بمدحهم عفواً بلا طلب وصدقاً لا كذباً

العالمية ومصايبه الادبية كلاً كلهم ماتوا واندرست آثارهم وانطوت
اخبارهم ولكن جرمانوس حي لا يموت ولا يبرح طائر الصيت
في مشارق الارض ومغاربها

ثم اين اعمار معاصري سمعائينا أمير العلماء شرقاً وغرباً
من عمره خصباً وطول امد وخلود فائدة

فاذا تقرر ذلك انكشف لكم الستار عما حمل خبرنا المفضل
على الاشتغال في معظم ما يبقى له من الوقت بعد قضاء اشغال
منصبه بالتعريب والتأليف وذلك من لدن كان في معية الطيب الذكر
المطران بولس موتى مطران طرابلس الى ساعتنا هذه وعلمتهم ان
الحامل له على ذلك امران احدهما معرفة ثمن الزمان الذي لا يُسترد
فائته مع النظر في عاقبة من تقدمه من اهل الفضل وارباب التأليف
وما افاضوا به على الخلق من الفوائد التي لا تحجب ينابيعها وما
جلب لهم صنيعهم من علو المسكنة في الصدور وحياة الذكر في
الدنيا اذ خلفوا ما خلفوا من نسل حكمتهم وذرية علمهم مما تنقرض
أمم ولا ينقرض والاخر اعتبار ان الامساك عن العمل محل في
النفس بل موت فانما النفس عمل كما سماها الفلاسفة فهذان الأمران
هما اللذان قد صيراً هذا الخبر رجلاً كبيراً وعالماً جليلاً إذا ثارت
عليه ثائرة حملت عليها جيوش آثاره فأخذت نارها . واطفأت
شرارها

ايها الخبر العلامة لك اقول الآن قد احسنت معرفة قيمة الزمان

واما اسمه الحلو العذب فهو عمر الانسان اي مدة حياته في

دار الدنيا

تعلمون دعاكم الله ان العمر ظرف بمظروفه يفسلو ويرخص
وبما وعى يطيب وينجث وبما حوى يشفي ويمرض وبما ألقى فيه
يهدي ويضل حتى يقال ما ارحص عمر عمرو وما اعلى عمر زيد
وان كان من بلد واحد في عصر واحد في مقام واحد وما اطيب
حياة هذا وما اخبث حياة ذاك وما انفع حياة فلان وما أضر حياة
فلان فاعلى الناس عمراً واطيبهم فيه أثراً واشفاهم لادواء الجهل
واردهم للناس عن سبل الوبال انما هم الواقفون على منابر التعلم
والتذكير آخر الدهر انما هم اولئك الذين بقوة ما ابقوا من غلات
اعمارهم يسودون من على ظهر الارض وهم في بطنها ويرشدون
سكان القصور وهم رهائن القبور الا قولوا اين سطوة الاسكندر
اليوم من سطوة أرسطو واين غلة عمر الاسكندر من غلة عمر
استاذة الفيلسوف . قد ذهبت اثار ذي القرنين بذهاب حياته .
واما آثار الفيلسوف فلم تذهب ولن تذهب بل تطاول الدهر عمراً
قولوا لي يرعاكم الله هل من احد يعدل عمر المطران
جرمانوس فرحات الذي اذكى مصباح العلوم العربية بين اهل النصرانية
وزين الكتب البيعية بحلى الفصاحة بعمر من عاصره من الرهبان
والاساقفة في خلال القرنين ١٧ و ١٨ وهل بقي من غلة حياة جميع
معاصري علامتنا المشار اليه ما يذكر في جنب ما ترك من كنوزه

التشبيه والمجاز فيها بمثابة هذا المشهد الحافل في اختلاف وجوه
شاهديه فتبدو لكم جنة مشتملة على افانين من ازاهير النثر والنظم
طيبة العرف حسنة الألوان قد أهديت الى من رفع قدر الادب
بادابه واكرم مقام الفضل بفضيلته فتحصل لكم بذلك لذة الاستماع
وللشعر والخطابة حظاً من الانتعاش بحيث يتميز الذهب من الشبه
وصهباء البلاغة من دردي التبالغ سنة الله في كل ما يقبل عليه
اكابر العصر واصاغره

وان قلتم كفى فقد اطلت علينا كما اطل موسى على قومه
قبل ان يدخلوا ارض الميعاد فقد عيل صبرنا اشرع فيما تخيرت
الكلام فيه اما ترى الشعراء من حولك يتزاحمون نعم ارى منهم
بقدر ما ارى من فضائل صاحب اليوبيل - واما قولكم ارض
الميعاد فهو منطبق كل الانطباق على موضوعي لانه يدر لكم لبن
الخير وعسل اللذة واسمحوا لي قبل ان اصرح باسمه الحلو ان
اشير اليه ايضاً اشارة تريكم خطارة شأنه وغزارة نفعه منشداً
بيت ابي العلاء المعري

وأضيع أوقاتي بغير ندامة
ويفوتني الشيء اليسير فأندم
وبقول آخر

أليس من الحسran أن ليالياً
تمرُّ بلا نفع وتحسب من عمري
وقول آخر

إذا مرَّ بي يومٌ ولم ألتخذ يدًا
ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

الحكمة اللاونية

وبعد فلما طالبي حقّ الفضل ان انتظم في سلك المهتمين
 رأيت ان خطبة لا ينتفع بها بعض الجمهور انما هي خطبة يقتصر
 فيها على تعدد آثار سيدنا صاحب اليوبيل التي صارت في اشتهارها
 عند الخاص والعام اشهر من نار على علم ومتى كانت الخطبة من
 جمهور السامعين بهذه المنزلة كان الصمت بالخطيب احرى واجدر
 فتخيرت لي موضوعاً يحلّي لايّ من سمعه ويُفيد ايّ من تأمله بل
 تغزر الخيرات لكل من عرفه نُقلاً وجرى عليه فعلاً وهو الامر
 الذي لا ريب ان صاحب اليوبيل يراه كشفاً لما هو خفيّ من
 الاسباب الداعية له الى ما صنع ويصنع ممّا لا يطالبه به مقام الاسقفية
 فيرضى به رضا الملغز بحلّ لغزه هو الأمر الذي تنبه له ايام صباه
 وجرى ولم ينفك جارياً عليه كما جرى الريكايون علي وصايا ابيهم
 يوناداب (ارميا ٣٥: ١٨) هو الأمر الذي استوجب له هذا العيد
 القضيّ واجرى له فيه من عُمرٍ النثر والنظم سيولاً. كذا قام
 في ذهني ولا بدع فمن احب شيئاً بالضرورة يكون قد رآه الحسن
 الجميل لكنه بعد ان يعرض عليه كثير من افراد ذلك النوع وانواع
 ذلك الجنس قد يرى اجود مما استجاد واحسن مما استحسن

فتقوا سادتي انه سيكون لبصائرهم الوقادة اليوم من خطب
 الخطباء وقصائد الشعراء مع تواردها على موضوع واحد مشهد
 بديع هو في اختلاف وجوه المعاني وصور ادائها وتشعب طرق

على الاسماع بضائع الافكار وبدائع الازدهان فيكتب لشعر هذا
العصر وخطبه حكم الفضل على ما كان يعرض في سوق عكاظ
ومريد البصرة من قصائد المفاخرات بما هو دون ما نفاخر به
في هذا اليوم من انتصار الفضل والعلم وابتسام ثغور المجد والجاه
لهما واهتزاز المنابر وتهلل الكنائس شكراً لله على ما آتى عبده
الأمين من النعمة حتى تقضى عليه ٢٥ سنة في رئاسة اسقفية
بيروت منقطعاً للاشتغال بما يهذب الاخلاق ويصلح الاحوال ففعل
بعون الله في هذه المدة ما ينفد الزمان ولا تنفذ منافعه وجدد
بهذا الصنيع تذكار ما لرجال الله من فضل سبق في كل محمودة
ومأثرة وانطق الجميع بالترحم على حجة المؤرخين الطيب الذكر
البطيريك بولس مسعد لتقليده اياه زمام هذه الاسقفية فانه اتم
بل زاد كثيراً على ما كان في نية سالفه الحميد الذكر والاثر
المطران طوبيا عون الشهير رحمه الله عداد حسناته واجزل ثوابه
على مقدار مبراته من المشروعات العظيمة وزاد في جمال ايام ذي
الهمة العالية والعزيمة الماضية قطب احبارنا الاجلاء ايننا المنبسط
البطيريك يوحنا الحاج الذي لا ريب انه اليوم يرتاح الى ما تقيمه
ابرشية بيروت من شواهد التكرم للديانة الكاثوليكية والمآثر
العلمية والادبية وزين عندنا ايام حبر الاحبار لاون الثالث عشر
فريد هذا الزمان من حيث جرى في تعزيز الآداب والفضل
والنصح عنهما على نحو ما صدعت به المناشير البابوية واقتضته

أنا فخرج الكلام بصورة واحدة أو بصور متشابهة حتى إذا سمع السامع خطبة كان كأنه قد سمع سائر الخطب أو أنشد قصيدة كان كأنه قد أنشد سائر القصائد فتأخذه السأمة سلفاً فيصير مثله بعد الخطبة الأولى مثل مَنْ تُقَصُّ عليه قصة ثم تُعاد له مرة في إثر مرة أو مثل من يجلس إلى المطرب بسحابة يومه ولا يسمع منه إلا نغمة واحدة فإن كانت في الحلاوة كالعسل تعود في المرات كالعصبر

لكن ليس الأمر يا دعاكم الله بهذه المثابة بل نحن وهذا الموضوع كأصناف النبات في الأرض كل نبت يأكل من ثراها ويشرب مما يقع عليها من ماء السماء أو يجري إليها من مياه الينابيع لكن كل نبت يجي مختلفاً عن الآخر ورقاً وثمرًا وطعمًا ذلك أن كلاً يحيل غذاءه وشرابه إلى طبيعته فكيف التفت ترى الشواهد ماثلة ناطقة بما قلت ترى التين والزيتون والصنوبر والورد والقلام والحنظل والعوسج في البقعة الواحدة وليس منها ما يشبه الآخر بل ترى لكل ما يميزه عما عداه كذلك الخطباء والشعراء اليوم كل منهم يجتذب هذا الموضوع الشائق بما فيه من الرفعة للعلم والفضل من الجهة التي يراها أشد تأثيراً في طبعه وأقرب من سواها امتزاجاً بهواه وأعلى من غيرها قيمة في عينه وأعلى مما عداها ثمناً في نظره وكفى بهذا سداً لباب الملل وإن طال عليكم وقت الاحتفال بل يا حبذا هو من معرض فكري تُعرض فيه

فضله الخوري يوسف العلم نائبه . واتخذ لكتابة اسراره كاهناً ورعاً
بعمد المهمة قوي العزيمة وهو الاب الجليل الخوري يوسف
البستاني

انه ليحفظ القلم ايها السيد السند قبل استيفاء ما ترك فتكرم
اذاً بقبول هذه العواطف التي أملتها عوارفك وخطتها فضائلك
وهزنا عرفان الجميل على تعداد بعضها في هذا النهار السعيد .
فلا يبقى عليّ والحالة هذه الا ان ادعو لك بطول البقاء حتى تبلغ
يوبيل الكهنوتي الخمسيني الذي يتم بعد ثمان سنوات في ١٥ تموز
سنة ١٩٠٥ وان يقدرك الله على اكمال مقاصدك الخيرية العائدة الى
خير ابنائك وتعزيز الديانة والعلم

وقال جناب العالم اللغوي الفاضل سعيد افندي ﴿

﴿ الخوري الشرتوني ﴿

— غلاء العمر ورخصه —

سادتي

ليس لدى الخطباء في هذه الحفلة الشريفة الا موضوع واحد
موضوع التهئة لهذا الحبر الفاضل باليوبيل القضي الاسقفي الذي
اقرحته علينا جلائل آثاره وتقاضته منا بواهر اعماله فلا تحسبن من ثم
ان ما يقوله الواحد هو في معنى ما يقوله كل من عداه افتراض

لا شك ان الاسقفية وفيرة المصاعب عظيمة المسؤولية حتى
شبهها البعض بالاتون البابلي بيد انك بنعمة الله وفضله كنت
كاولئك الفتيان الثلاثة الذين ألقوا في النار فلم تحرقهم واحترمت
كل شعرة في رؤسهم

لقد قيل ان الاسقف يجب ان يستجمع خمس وزنات اي
عقلاً صافياً وفضيلة رائحة وطبعاً وقوراً وعلماً وافرأ وفطنة في
التدبير ومواظبة على الصلاة . فاي واحدة من هذه الوزنات
فاتتك بل اي واحدة لم تنمها حتى بلغت بها الى اعلى درجاتها
ولقد نتباهى جميعاً بما أهلتك صفاتك لئله من الاعتبار اولاً
عند رئيس الكنيسة الاعلى سيدنا الاب الاقدس الحالي البابا لاون
الثالث عشر الذي ارسل اليك في فرصة هذا اليوبيل ببركته
الرسولية عربون النجاح . وثانياً عند جلالة سلطاننا المعظم وحاقتنا
المفخم الذي انالك مرتين شرف مواجهته السنية وانعم عليك
بالوسام المجيدي الثاني ثم بالعثماني الثاني وأمرك بعرض حاجاتك
للمباين الهمايوني راساً لما تحقق من اخلاصك واخلاص طائفتك
لعرشه الاسنى

لا شك ان من تجمل بمثل هذه المحامد لا بد ان يكون
متحلياً ايضاً بحسن اختيار الرجال الذين يوليهم الشؤون المختلفة .
كيف لا ونحن نشاهد انه رأس على ديوانه الاسقفي كاهناً
موصوفاً بالعلم والراي والتقى اعني به حضرة الاب المجمع على

ولا سيما في العلوم التاريخية التي ما وقعت فيها قط الا موقع
الصواب ولا اعتمدت الا على حجة قوية وسند مكين . وثالثاً
كوطني غيور وشخص ممتاز . فكم لك من الخطب التي حرّضت
فيها على الائتلاف والسمي في تقدم الوطن ونجاحه . وكم لك من
المساعي المفيدة من هذا القليل . وكم نفعت بمدركك هذه من
شبان الديار السورية وغيرها . وكم شرّفت ابرشيتك لدى تمثيلها
في المجمع القرباني بذلك الخطاب الرائع ثم بانتصارك للحقيقة .
أكل هذه الآثار والتأليف والمساعدات والهمة الناهضة والمساعي
الجمّة والوطنية الصادقة أكلها لم تكن كافية لتقترح علينا هذا
اليوبيل الاسقي وفاء لجزء من حقك علينا

نعم ايها السيد المفضل ان بعض ابنائك قد عقوك وتعاموا
عن جميع مزايك واجتهاداتك واغلقوا عيونهم عن آثارك وحملهم
الحسد عام ١٨٨٦ على ان يرشقوك بسهام تهم اوسلوها الى الكرسي
الرسولي بوسائل ذات اقتدار حتى استدعاك الى رومية . ولكن
لما تحقق ان تلك الشكايات مبنية على البهتان أبي ان يدخل في
المحاكمة مع اسقف نظيرك واضحة براءته فاكتفى بان القى عليك
اسئلة ابوية وقرّظك كل التقريظ ثم قابلك سيدنا الاب الاقدس
البابا لاون الثالث عشر بكل التكريّات المعتادة لرؤساء الاساقفة
ولما عدت النيا في ٤ ايار عام ٨٧ استقبلك الناس على اختلاف
المذاهب والنحل استقبالا ندر نظيره في الشرق

التعليم على ما يناسب احوال هذه الديار ويوافق الحاجات الحاضرة
عندنا

فبعد ما تقدم سرده هل اغالي ايها السادة اذا قلت ان
مطراننا الهمام ابدى من العزيمة الماضية والهمة السامية في اعماله
المتعددة وتآليفه الكثيرة ما لا ينتظر صدوره عن رجل واحد ولا
سيما في الشرق . وقد يأخذنا العجب جميعاً من طول باعه وعلو
مقدرته في هذه الاعمال كلها مع عنايته بشؤون ابرشيته الوسيعة
ومكاتبة ومواجهة اصحاب العلائق والاشغال وزيارة اصحاب
المقامات وتدوين المحاسبات وغير ذلك من الامور

ومع كل هذه المشاغل التي تفوق اعمال ثلاثة رجال بعدي
الهمة غزيري المعارف ترحب بجميع قاصديك في الحاجات
ومستشيريك في المهمات وسائليك الاسعاف في المصالح . كما انك
لا تمتنع عن مجالسة الزائرين ببشاشة وجه وطلاقة محيا حتى ينثنون
من عندك شاكرين لما رأوا من دماثة اخلاق ولين عريكة ومزيد
اقتدار على ارضاء الجليس من اي طبقة كان

فيا ايها السيد الهمام والخبر العلامة المقدام اننا بكل حق نفتخر
بك اولاً كرئيس اساقفة لانك مكمل بالفضيلة مزين بحسن التدبير
ومحب للرعية وقد طالما اخلصت الخدمة لها في صوالحها الروحية
والزمنية واجتهدت في تشييد المعابد ونشر الكتب المفيدة لتعزيز
الديانة بينها وانمائها في الحياة الروحية . وثانياً كعالم ومحقق فريد

بعد ان نظر في ترجمته التي هي من قلم ذاك الرجل الطائر الذكر
 المثلث الرحمات المطران يوحنا حبيب مجدد جمعية المرسلين للموارد
 ونقح وطبع وهذب كتاب التعليم المسيحي حسب المجمع
 التريدينيني الذي ترجمه احد افاضل واثقيا الكهنة وهو المرحوم
 الحوري يوسف البستاني . وعلق ايضاً بعض حواشي على كتاب
 مرشد المستفحصين في اللاهوت الادبي ترجمة حضرة شقيقه وهي
 تحوي فوائد جمة من مواد سر الدرجات وصورها وطقوسها في
 الشرقية . وقد كلل اخيراً كل هذه التصنيفات والتنقيحات والمطبوعات
 بكتاب جليل القدر جليل العائدة هو تاريخ سورية يشتمل على
 اربعة اجزاء الاول في تاريخ هذه البلاد من بداية العالم الى ايام
 اسكندر والثاني تاريخها في ايام اسكندر وخلفائه والملوك الرومانيين
 والثالث تاريخها في ايام الدولة الاسلامية والرابع والاخير تاريخها
 في ايام الدولة العلية العثمانية . وقد امتاز هذا الكتاب باستناده الى
 الاكتشافات الحديثة والمباحث الجديدة

اما مدرسة التقدم لتهديب الفتيات فقد انشأها في هذه السنوات
 الاخيرة وولى على ادارتها كاهناً غيوراً مطبوعاً على الصلاح والتقى
 هو حضرة الاب الحوري اسطفان الشمالي وعهد بالتعليم والمناظرة
 فيها الى راهبات فاضلات استقدمهن من فرنسة مع معلمات مهذبات
 من بنات هذه البلاد . ومع حداثة عهدها قد نمت نمواً غير متظر
 لما رأى فيها الناس من انتظام المعيشة وحسن الترتيب وجودة

فمن هذه التأليف كتاب مغني المتعلم عن المعلم في مبادئ
 الصرف والنحو جعله على طريقة غرامطيق شبسال الفرنساوي ومنها
 كتاب لتعليم الاحداث سماه مربى الصغار ومرقى الكبار ضمنه
 واجبات الانسان وما عليه من الفروض لخالقه ولوالديه وللهيئة
 البشرية ومنها ايضاً سفر الاخبار في سفر الاحبار يشتمل على
 تواريخ جميع المدن التي مرَّ بها اثناء سفره الى رومية بمعية السعيد
 الذكر البطريك بولس مسمد مع ثلاث نبذات في تاريخ الرومانيين
 والفرنساويين والقسطنطينية والسلاطين العثمانيين العظام وذكر ما
 جرى من الاحتفالات في رومية وقتئذٍ وزيارات غبطة البطريك
 المهمة وكثير من الفوائد المتعلقة بالطائفة وغيرها حتى يصح ان
 يلقب هذا الكتاب بكنز الفوائد وله ترجمات وتآليف اخرى ايضاً
 غير مطبوعة منها ترجمة الناموس الكنائسي ليوحنا ديفوتي ثم معجم
 فقهي ابتغى فيه تيسير المعاني الفقهية وتسهيل ادراكها بردها الى
 ابوابها وله ايضاً ايجاد الكتابة المختزلة في العربية وهي المعروفة
 بالسطينوكرافيا . وله كذلك غير ما تقدم مما تجوز عن سرده
 اختصاراً

ومن المزايا التي تحلى بها خبرنا المقدم انه كان ينظر دائماً
 الى سد حاجات الاكليروس الكاثوليكي بنشر ما لا يستغنون عنه
 من التصانيف المفيدة التي هي كسلاح لهم في وظيفتهم وعملاً بذلك
 طبع كتاب اللاهوت الادبي للعلامة غوري اليسوعي في مجلدين

كل احد منهم يبحث او ترجمة كتاب مفيد
واخيراً طبعت على نفقتك ما كانوا يتلونه وقت الاجتماعات
من الخطب وما تيسر لبعضهم ترجمته من اللغات الاجنبية . من ذلك
كتاب ذخيرة الالباب في بيان الكتاب الذي استخرجه حضرة
الاب العالم المدقق الحوري نعمة الله ابي كرم ولا شك ان هذا
التأليف كان في غاية الزوم للاكليريكيين اطلاقاً لهم على قواعد
تفسير الاسفار المقدسة ومنه كتاب عنوان البيان وهو يشتمل على
مواد للوعظ ترجمه حضرة الاب الوقور الحوري بولس الزغبى
وقد كنا نتمنى لو تكون هذه الدائرة قد ثبتت الى اليوم لنجمل عنها
خير وفائدة عظمى للعلم في هذه الديار

ايها السادات ان في ما تقدم بيانه اثباتاً كافياً لفضل هذا
الراعي وحسناته العديدة على عالم العلم . ولكن بقيت امور لا بد
من ذكرها لان في السكوت عنها غضاظة من منزلته العالية . كلكم
يعلم انه عام ٦٤ اسس مطبعته العمومية الكاثوليكية وقد خدم بها
مصلحة العلم أجل خدمة فاصدر منها ما خلا الكتب الدينية والطائفية
التي سبق تعدادها كتباً اخرى علمية وتاريخية كلها تشهد بباله قصده
وسمو مداركه وشدة حرصه على تلافي حاجات البلاد حتى يسوغ
القول ان له قسماً كبيراً من السعي في التقدم العلمي بواسطة
تأليفه وترجماته وجريدتي النجاح والمصباح ومدرسة الحكمة هذه
ومدرسة التقدم التي يجي ذكرها

وهي تضم الان من الطلبة ثلاثمائة طالب داخلي او اكثر من جميع
 الطوائف مسيحية وغيرها وجعلتها على غاية الانتظام في البناء والمعيشة
 وحسن الموقع ووليت شؤون التعليم اساتذة من فضلا هذه البلاد
 والافرنج لتعليم اللغات بضروبها والعلوم بانواعها ورأست عليها
 حضرة شقيقك الفاضل الخوري بولس الذي يدير الآن شؤونها
 بحذق ودراية

وها قد مضت عليها اثنان وعشرون سنة وهي مزدهرة كجنة
 مخصصة وقد طالما خرجت من الشبان الذين ارتقوا الى مناصب
 ورتب عالية فبرهنوا على سمو التعليم الذي تلقوه فيها ونبالة المبادئ
 التي اخذوها عنها

ولما رأيت ان اهل البلاد لا غنى لهم عن درس قوانين دولتنا
 العلية انتدبت ذلك القانوني الشهير فقيد الوطن والطائفة المرحوم
 نقولا نقاش فدرس جمهورا من الطلبة خرجوا متخلفين باخلاق
 استاذهم الفاضل وتولى بعضهم مناصب في الحكومة فاعربوا عن
 اقتدار وسعة علم

وعُنت بعد ذلك بان اخترت من فضلا الاساتذة الذين
 ضمتهم مدرستك نخبة ألفت منها الدائرة العلمية ثم وسعتهما الى
 غيرهم ممن امتازوا بالعلم والفضل من الطائفة . وما كان الحامل
 لك على هذا سوى رغبتك المتوقدة وشوقك الخالص الى انتشار
 العلوم في الديار السورية مبنية على اساس الدين المكين ولذلك اشغلت

حقاً ان هذه المحبة هي التي تدفعك الى ارسال الوعاظ والمرشدين
مدة بعد اخرى لالقاء الرياضات الروحية . بلى ان هذه المحبة
هي التي توجب عليك جمع كهنتك كل سنة في مدرستك ليسمعوا من فمك
نفائس الارشادات . هي التي تقتضي منك ان تأمرهم بالاجتماع
كل خمسة عشر يوماً للاذكاكرات اللاهوتية . فحسبك مدحاً اذا
ايها السيد الجليل انك اسقف لا يرى وسيلة لنماء رعيته في
الروحيات الا تمسك بها

٢

بعد ان الممت بغيرتك على الديانة ومحبتك للرعية التي قلدت
تدبيرها يليق بي ان لا اذهل عن مساعيك في تقدم العلوم والادبيات
والمبادئ الوطنية فقد شهدت بها آثارك . والفضل ما شهدت به
الآثار :

أسست جريدة النجاح عام ١٨٦٨ وكثيراً ما زيتها بفصول
ومقالات من قلمك عن تاريخ الفينيقيين خاصة وما أقفلت هذه
الجريدة عام ٧٥ وقامت بدلها جريدة المصباح حتى سهلت الاشتراك
فيها بمساعدات قوية واجتهدت في ايداعها الفصول والمقالات العلمية
المفيدة

ولما شعرت ان البلاد مفتقرة الى مدرسة وطنية كبيرة في هذه
المدينة الزاهرة لم يقعد بك ما يقتضيه هذا المشروع الكبير من
النفقات فأسست مدرستك هذه الحكمة والحق بها كنيسة جميلة

نفسه بنفسه ويحاول التجني على طائفة اشتهرت في كل حين
بالطاعة للكرسي الرسولي المقدس . حقاً ان هذا الكتاب لفريد وما
اجدر الموارنة بل كل من اراد ان يتخرج في اساليب الجدل ان
يقتنيه ويحرص عليه حرص الشحيح على الدرهم لما تضمن من
فوائد التاريخ والتفنن في الحجاج فينذهل القاري لبسطة علمك
وسعة اطلاعك وسداد رأيك

اي عالم او منتحل علم في هذه البلاد او في الديار الاوربية
خط قلمه شيئاً ضد الطائفة ولم تنهض في مقدمة الناهضين للرد
عليه وابطال قوله بسديد البرهان

اما محبتك للرعية فدونها محبة الاب لابنائهم الطبيعيين .
كيف وان هذه المحبة هي التي كانت تحملك تارة على التعليم بنفسك
من على المنابر والايماز الى ككهنتك ان لا يكفوا عن الارشاد .
وتارة على التوبيخ وقرع عصا التبكيث . وأخرى على الصلاة من
اجلها . نعم انه كل يوم يقدم الذبيحة الالهية عنا جميعاً سائلاً الله
ان يفرج عن المكروبين ويغيث الملهوفين ويسلي الحزاني شان الراعي
الصالح لعلمه ان خلاصه مرتبط جوهرياً بخلاص كل واحد منّا
ألست هذه المحبة نفسها هي التي تحملك ايضاً على الاعتناء
بجمهور من الطلبة الاكليريكيين في مدرستك وتلقينهم العلوم
الكنهوتية وبنيتهم على اساس التهذيب الراهن ليكونوا فيما بعد
كهنة فضلاء قادرين على مباشرة وظيفتهم بلياقة

ولكن أيلق بي ان اعرض عن سائر التأليف التي نفعت بها
 الاكايروس الكاثوليكي عموماً اما ألفت تفسير البشائر الانجيلية
 الاربع مستنداً فيه الى اشهر المفسرين من آباء الكنيسة اللاتينية
 وعلقت عليه مقدمة مسهبة في اصل الترجمتين السريانية والعربية
 ضمنتها فوائد عزيزة المنال عن قدم هاتين الترجمتين ونسخهما
 وطبعاتهما. اما ترجمت تاريخ الهرطقات والبدع مع دحضها وسهلت
 للكاثوليك ان يردوا شبه المنفصلين عن مركز الوحدة . ألفت
 أنت مترجم كتاب اللاهوت الاعتقادي في اربعة مجلدات كبيرة
 أما أنت الذي استخرج كتاب الفلسفة باقسامها للاب دموفسكي
 أم لست الذي ألفت ثلاث مجلدات في المواعظ التي جاءت كمقالات
 فلسفية لاهوتية شاهدة بطول باعك

وماذا اقول عن غيرتك الطائفية وحجيتك المليّة سوى انك
 بلغت فيها المنزلة العالية والمقام الرفيع . فكم لك من التقارير
 والفصول والمقالات والمكاتبات عن ايمان الموارنة واخلاص
 تابعيتهم للدولة العلية الابدية القرار وبيان ما لهم وعليهم من الحقوق
 مما لو جمع لتألف عنه مجلدات ضخمة . أما أنت مؤلف روح
 الردود ومزيف اقوال من حاول ان ينسب اليهم التلوث بالبدع
 والهرطقات ولقد راجعت كتابك المذكور في هذه الاثناء فوجدت
 من مضاه سيف حجتك وقوة برهانك وخلاصة عارضتك وكيف
 دككت مزاعم الخصم دكاً ورددت عليه اقواله وبينت كيف يناقض

شيدتها في بيروت الاولى كنيسة ابينا القديس مارون والثانية
كنيسة القديس ميخائيل والثالثة الكنيسة الكاتدرية على اسم
القديس جرجس وهي اكبر كنائس طائفنا واجملها بل اكبر
الكنائس في الديار السورية حتى انه يحق لهذه البلدة ان تفتخر بها
كبنية من البنايات العمومية . وما عدا هذه الكنائس الكبيرة
كم أسست من كنائس في قرى ابرشيتك المختلفة وكم مددت يد
الاسعاف للكنائس اخرى

وهل وقفت همتك عند هذا الحد او قعدت بك النفقات
الكبيرة عن طبع الكتب الطائفية . كلا . انك لما رأيت كتاب قداسنا
قد نفدت نسخه او كادت في حين ان الحاجة اليه ماسة شممت
بعد استئذان غبطة سيدنا البطريرك عن ساعد الهمة والنشاط فطبعته
في مطبعتك بعد ان هذبت العبارة العربية واصلحت ما كان غير
منطبق منها على الاصل السرياني . وطبعت ايضا كتاب الرسائل
التي تتلى يومياً في القداس وكتاب الجنازات وكتاب خدمة القداس
وكتاب الافراميات بعد ان عهدت بتنقيح عربية الاخيرين الى
المثلث الرحمت المطران جرمانوس الشمالي وكللت اخيراً مطبوعاتك
هذه الطائفية بطبع الشعيم الكبير وعلقت عليه مقدمة حقها ان
تكتب بماء الذهب لما حوت من علم رائع وتحقيقات بديعة عن
اصل الفروض الكنائسية ومواقعها
هذه هي اهم مطبوعاتك العائدة لنفع الطائفة خصوصاً .

وكما ان راعي الخراف لا يمكن ان يكون من نوعها بل يجب
 ان يكون انساناً حتى يقدر على ارشادها الى المراعي الخصيبة والمشارع
 العذبة وتجنّبها المخاطر هكذا أنت منذ طلعت في فلك هذه
 الاسقفية صرفت اقصى عنايتك حتى لا تكون مناً بل ان تترفع
 وتتسامى في الحكمة والقداسة والاستزادة من الفضائل لتكون اقدر
 على تنويرنا وايصالنا الى الكمال المسيحي كما هو مقتضى وظيفتك
 ان السيد المسيح شبه الاساقفة بنور العالم وملح الارض
 والمدينة الموضوعة على جبل وأنت قد حققت قول سيدك وسيدنا
 وسيد العالمين . أفليس خطبك الشهيرة التي دافعت بها عن حقائق
 الدين الكاثوليكي بابلغ حجة واقوى برهان نوراً يستضاء به في
 دجنة المشاكل . أليست مواعظك ورسائلك الرعائية المتعددة كلح
 اذا ذُرّ على القلوب السليمة منع فساد الجهل والاثم ان يتطرق
 اليها . أليست مؤلفاتك وترجماتك التي شرحت بها حقائق الديانة
 ونشرتها بين رعيتك كمدينة قائمة على جبل تهدي السارين في
 الظلمة الى سواء الطريق

ليت شعري اذا طلبنا في الاساقفة اعمالاً تشهد لغيرتهم على
 صيانة الدين والدفاع عنه انرى آثاراً تربي على آثارك انجد أغير
 منك او اشدّ حرصاً على سلامة الكنائس ولو شئنا ان نسرد
 اعمالك الراجعة لتوفير كرامة الدين واعلاء مناره لطل بنا الكلام
 كثيراً فنكتفي من ثم بما يأتي مبتدئين من الكنائس الثلاث التي

قد علمتنا في كتابك مربى الصغار ومرقى الكبار ان لا نستتر الحقيقة
 بحجاب ولا نضع المكيال فوق سراج منير . فعملاً بتعليمك
 الحكيم اتكلم الان قاسماً خطابي الى جزئين قهي الاول ابين
 فضائلك وغيبتك في خدمة الدين ومحبة الرعية وفي الثاني سعيك
 في رفعة العلم وتهذيب الشبيبة

ومرجوي من هذا الحشد الكريم المؤلف من جلة الاكليروس
 ونخبة اهل الفضل والوجاهة والادب ان يتكرم بالاصاخة سائلاً
 ذيل الستر على التقصير

(١)

ان الله تعالى هو الطهارة بالذات والنور الغير المتناهي والكمال
 غير المحدود فكيف يسته اذا مطالبة ان تسعى جهدها لتماثل في هذه
 الاوصاف . وبما ان الاساقفة في الكنيسة هم رؤساء المؤمنين ومن
 دونهم من الاكليريكين ايضاً وهم مسؤولون اشد من غيرهم
 بالتشبه بالخالق عز اسمه فانت ايها الحبر الجدير بكل مدح قد
 استخلصت مرضي ربك وطبقت سيرتك في كل شيء على واجبات
 الاساقفة الذين يتولون تدبير الرعية . وكما ان الراعي يجب عليه
 ان يسوق قطيعه في طريق يعرفها بالاختبار لا بالحبر فقط هكذا
 انت قد كنت ولا تزال ترشدنا بمثللك ومواعظك الى النهج
 الروحي الذي تقدمتنا في سلوكه وصرت قدوة ومنارة
 للسائرين فيه

الخطب

هذا ما اتصلت اليه ايدينا من الخطب الخطية غير ذاكرين شيئاً
من الخطب الشفاهية لعدم تكرم الخطباء بارسالها اليها

✽ قال حضرة الكاتب البليغ رشيد افندي الخوري الشرتوني ✽

✽ مدرس الخطابة والبيان في كلية القديس يوسف ✽

✽ للاباء اليسوعيين ✽

ايها السيد الجليل

ها قد اكملت في تدبير رئاسة اسقفية بيروت خمساً وعشرين
سنة جعلتها سلسلة محاسن ومفاخر فاقت فضائلك الساطعة واعمالك
المتعددة وتآليفك النافعة شواهد ناطقة بما تحليت به من الكمالات
المتلازمة والحكمة الباهرة والعلوم الزاخرة . فحق لنا اذاً في مثل
هذا اليوم السعيد الذي نحتفل فيه بتذكار يوبيلك الاسقفي ان نعدّد
بعض مناقبك الغراء ومحامدك الاثيلة . نعم ان هذا لا يزيدك
تعريفاً لا عند ابنائك ولا في عيون الغرباء لان آثارك الماثلة جعلتك
جعلتك اشهر من نار على علم . ولكن القروض البنوية توجب علينا
عرفان الجميل وتضطرنا ان نظهر انفسنا كارض مخصبة اذا زرع
فيها حبّ المعروف أنبت أغراس الشكر

واننا لنعلم بان هذا يجرح حاسة تواضعك العميق غير انك